فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل الذراعين اربعًا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال
له حاتم فيما ذا قال غسلت ذراعيك اربعًا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف ماء اسرفت وانت
في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي قصده ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس اربعين يومًا
فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن عجمي وليس يكلمك احد الا
قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا تجهل
عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فقال سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد
الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال تغفر للقوم
جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم ايسًا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار
الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان
له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم
قصور لاطئة بالارض فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان فقالوا
هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذاك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت
البلد فقلت مدينة من هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت واين قصره وقص القصة
ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله
صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنى بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسياتي
من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح
ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا
بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق
ومراياتهم وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة
ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا
حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سياتي بيانه
وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
محمد في الاولين والاخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك
تلبس الرقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس
العلم فضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله
يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله
والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد
سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والادب امتعك
الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فاما ما ذكرته

فاما ما ذكرت لي اني اكل الرقاق والبس الرقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك
ونستغفر الله وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من
كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه
مباح وصدق فيهما جميعا ومثل ذلك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف
في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة
والمداهنة والتجاوز الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم
وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر
ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل
ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين
والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين
الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى
تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم او يتكلف في كلامه
لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك
هو السحت وسياتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز
من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعدة علماء الاخرة طريقهم
الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل
ومن اتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون
فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقتلهم قال
لا ما صلوا وقال سفيان الثوري ان في جهنم واديا لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال
حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه
بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم
بكثرة من ياخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم
شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل ولذلك قال سعيد ابن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء
فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا اميرا وقال صلى الله عليه
وسلم شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقي من تعلم القران
وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال
سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت
اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان